ديوان المعاني

(القسم الثاني)
العروض في الكتاب

الدكتور محمود محمد الطناحي

يقول الصاحبُ بن عبّاد : « العَروضُ ميزان الشعر ، بها يُعرف مكسورُه من موزُونه ، كما أن النحوَ معيارُ الكلام ، به يُعرَف مُعرَبُه من ملحُونه »[1] .

وليس العروضُ علماً صَعْباً عَسراً طِلابُه ، كما يَلْهَجُ به أهلُ زماننا ، وكما يكتبه بعضُ زملائنا الجامعيّين في مقدّمات تآليفهم وتحقيقاتهم العروضية ، وإني لأعجب لهم ، كيف يُصعّبون علماً ثم يطلبون إلى تلاميذهم معرفتَه ؟ أتُبغِّضُ إليَّ طعاماً ثم تدعوني إلى أكلِه ؟ .

العروض عِلْمٌ شأنُه شأنُ سائر العلوم ، لابُدَّ أن يُوخذَ له أخذُه ، ويُتلَقّى بالجِدّ والصَّرامة ، وليس العروضُ بأشقَّ من عِلمٍ مثلِ الصَّرف ، أو القراءات (روايةً ودِراية) ، أو أصول الفقه . فما كانت صعوبةُ مثل هذه العلوم صارفةً بعض خلقِ الله عن إتقانها وبلوغ الغاية فيها ، ورحم الله المشايخَ الكبار الذين أدركناهم وقَبَسْنا منهم شيئاً : محمد علي النجار ، وسيّدنا الشيخ عامر السيد عثمان ، وعلي حسب الله ، ومحمد أبو زهرة ،

● نشر القسم الأول في مجلة المجمع (مج ٦٦ ، ج ١) .

(١) الإقناع ص ٣ ، والجزء الأول من هذا التعريف عند الجوهريّ ، في (عروض الورقة) ص ٥٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعبد السلام هارون[٢] .... ولكنها عزائمُ الرجال وصلاحُ الأزمان . والناسُ بأزمانهم أشبَهُ منهم بآبائهم .

ودَعْ عنك ـ الآن ـ تلك القصّة التي تقول : إنّ عبدَ الملك بنَ قُرَيْب الأصمعيّ ، كان يختلف إلى الخليل بن أحمد الفراهيديّ ، ليتعلّمَ عليه العروض ، ولكنّ هذا العِلمَ استصعب عليه ، ولم يُسلِسْ إليه قيادَه ، فيئس منه الخليل ، وأراد أن يصرفه بلُطْف ، فقال له : قطّعْ هذا البيت :

إذا لم تستطع شيئاً فدَعْهُ وجاوزْهُ إلى ماتستطيعُ[٣]

فذهب الأصمعيُّ ولم يرجعْ ، فِطْنةً منه بمُراد الخليل . وعلى فرض التسليم بصحّة هذه القصّة ، فليس إخفاقُ الأصمعيّ في تعلّم العَرُوض واعتياصُه عليه ، دليلاً على صعوبته على سائر خلقِ الله ، فكثيرٌ من أهل العِلم قديماً

---

(٢) كان رحمه الله ورضي الله عنه آيةً في معرفة علم العروض ، وإن لم يظهر ذلك في تصنيف . ومن أولِ ماعلّقتُه عنه من هذا العلم ، التفرقةُ بين مشطور الرجز ومشطور السريع ، في أبيات خِطام المجاشعي : ☆ وصالياتٍ ككما يُؤثْفَيْنْ ☆

وقد نبّه عليه العلامة البغداديُّ . راجع الخزانة ٢ / ٣١٣ .

(٣) من قصيدة شهيرة لعمرو بن معدي كرب الزبيدي . وفي النفس من هذه القصّة شيء ، وفي النيّة إن شاء الله أن أحقّقها ، وأتتبّع سَنَدَها ومسارَها . فكم نُسِب إلى الأصمعيّ من أوهامٍ وأخطاء ، يجلّ قدرُه عنها . ومنها هذا التصحيفُ الشائع عنه ، أنه صحّف قولَ الحطيئة :

وغرّرتني وزعمتَ أنـ ـك لابنٌ في الصيف تامر

فأنشده :

لاتَنِي بالضيف تامِرْ

أي تأمُر بإنزاله وإكرامه . يقول أبو الفتح بن جني : « وتبعُد هذه الحكايةُ في نفسي ؛ لفضْل الأصمعيّ وعلوّه ، غير أني رأيتُ أصحابنا على القديم يُسنِدونها إليه ، ويحملونها عليه » . الخصائص ٣ / ٣٨٢ ، وانظر شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف ص ٩٥ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وحديثاً ، يرتاحون إلى بعض العلوم ، ولا يرتاحون إلى بعضها الآخَر . وقد كان الجلالُ السُّيوطيُّ ، رحمه الله ، يَجْتَوي عِلمَ الحساب اجتواءً شديداً . يقول : « وأمّا عِلمُ الحساب فهو أعسَرُ شيءٍ عليّ ، وأبعَدُه عن ذهني ، وإذا نظرتُ في مسألة تتعلّق به فكأنما أحاول جبلاً أحمله »[٤] . ولو تبع الناسُ السُّيوطيَّ في استثقاله عِلمَ الحساب لتعطّلت مصالحُ البلاد والعِباد .

ثم دَعْ عنك أيضاً ذمَّ أبي عثمان الجاحظ للعَروض . والعجيب من بعض أهل العِلم ، ينقلون كلامَ الجاحظ في ذمّ العَروض ، معزولاً عن سياقه المادح له أيضاً . وإليك مساق كلامه ، على ماحكاه الحُصْريّ ، قال : « وقد مدح الجاحظُ العَروضَ وذمَّها ، فقال في مدحها : العروضُ ميزان ، ومِعراضٌ بها يُعرف الصحيحُ من السَّقيم ، والعليلُ من السَّليم ، وعليها مَدارُ الشعر ، وبها يَسلَمُ من الأَوَدِ والكسر .

وقال في ذمّه : هو عِلمٌ مولَّد ، وأدبٌ مستبرد ، ومذهبٌ مرفوض ، وكلامٌ مجهول ، يستكِدُّ العَقْلَ بمستفعلن وفعول ، من غير فائدةٍ ولامحصول »[٥] .

ثم إنّ للجاحظ أن يمدحَ كما يشاء ، ويذمَّ كما يَهْوَى ، ويبقى العروضُ عِلماً من علوم العربية ، لابدّ أن يُتعلَّمَ ويُدرَس . والجاحظ ـ رحمه الله ـ أديبُ العربيّة الكبير ، تغلبُه الدُّعابةُ أحياناً فتميلُ

---

(٤) من ترجمته الذاتية لنفسه في حسن المحاضرة ١ / ٣٣٩ ، وقد أخبرنا السيوطيُّ أيضاً أنه شدا شيئاً من علم المنطق ثم انصرف عنه ، مع تحقّقه بعلوم العربية الأخرى وعلوّ كعبه فيها .

(٥) زهر الآداب ص ٦٤٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

به عن الجادَّة ، وهو كثيراً مايستطيل بذكائه . ولم أجدْ في وصفه أحلى ولاأعذَبَ ولاأشْفَى مما قاله شيخنا أبو فهر محمود محمد شاكر ـ أطال الله في النعمة بقاءَه ـ قال : « والجاحظُ تأخذُ قلمَه أحياناً مثلُ الحكَّة ، لاتهدأ مِن ثورانها عليه حتى يشتفيَ منها ببعض القول ، وببعض الاستطالة ، وبفَرْط العقل ! ومع ذلك فإن النقّاد يتبعون الجاحظَ ثقةً بفضله وعقله ، فربما هجروا من القول ماهو أولى ، فِتنةً بما يقول »[٦] .

ثم دَعْ عنك ثالثاً : مايُقال مِن أنّ مِن أسباب صعوبة العروض ، كثرةَ مُصطلحاته وغرابتها . فإن لكلِّ علمٍ مصطلحاتِه التي ينبغي معرفتُها والإحالةُ بها ، وليست مصطلحات العروض بأعْسَرَ ولا أشقّ من رموز القُرّاء في قصيدة (الشاطبيّة) المعروفة ، وقُرّاءُ القرآن يحفظونها حِفظاً ماضياً[٧] ، كما يحفظ أحدُنا السورةَ القصيرةَ من القرآن ، ويحلّون رموزها في سهولةٍ ويُسْر .

وعلى فرض التسليم بصعوبة تلك المصطلحات وعُسْرِها ، فإنها ليست وحدَها عِلمَ العروض ، وهل العروضُ مصطلحاتٌ فقط ؟

إن العنايةَ بتلك المصطلحات إنما تأتي في مرحلةٍ تالية ، بعد معرفة المهمّ الأعظَم ، وهو التنبّه للوَزْن والنغم ، ومعرفة قواعد تقطيع الأبياتِ ، والتمييز بين بحرٍ وبحر ، والفطنة لضُروب الإيقاع المختلفة ، وماقد يطرأ عليها من اضطراب أو خلل ، وتنمية الحِسّ النغميّ ، لإدراك العلائق بين البحور المتشابهة ، كالكامل والرجز والسريع ، ومجزوء الوافر والهزج ، ثم

---

(٦) حواشي تفسير الطبري ٢ / ٤٨٦ ، ٤٨٧ .

(٧) جاء هذا الوصفُ للحفظ ، في برنامج الوادي آشي ص ٣٠٥ ، من كلام ابن النحاس المصري النحويّ ، محمد بن إبراهيم ، في قراءته وروايته كتاب سيبويه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بين الكامل والطويل ، إذا دخله الخرمُ في أوله .

وخلاصة القول ان علم العروض علمٌ كسائر العلوم ، لابدَّ أن يؤخذَ بكثير من الجِدّ والعزم . وهذا العُسْر الذي يبدو لمتعاطيه أوّلَ مرّة مَقْضِيٌّ عليه بكثرة الممارسة والمُداخَلة ، وعدمِ اطِّراحه وإهماله ؛ ومأشبهه عندي بعلم الفرائض (المواريث) ، يتعلّمه أحدُنا ويثقفه[٨] ، ويحلّ عويصَ مسائله ، ثم يُهمِلُه زمناً مّا ، فإذا عاد إليه وجد من العُسْر والعناء مايُبغِّضه إليه ويُنفِّره منه ، بخلاف علمٍ مثلِ النحو ، تستطيع أن تُمارسه كلَّ يوم ، فيما تقرأ وفيما تكتب وفيما تسمع .

وأودُّ هنا أن أبسُطَ تجربةً لي قديمة مع علم العروض ، لعلها تؤكّد ماقلتُه :

درستُ علم العروض كما يدرسه المبتدئون في المرحلة الثانوية من الأزهر الشريف ، ونجحتُ فيه آخر العام ، بالنهاية الصغرى من درجاته ، ومعنى هذا أنني كنت تلميذاً بليداً فيه ، وكانت هذه الدراسةُ لعامٍ واحد[٩] ، ثم طرحْتُه خلف ظهري ، لعدم حاجتي إليه يومئذ .

وفي عام ١٩٥٩ م ، دخلت كلية دار العلوم ، وكنت بجانب الدراسة أعمل يوماً أو بعضَ يوم مع نفَرٍ من المستشرقين الذين كانوا يحلون بمصر ، لإنجاز تحقيقاتهم التراثية ، وطبعها بمطابع بمصر ، وكانت لتلك المطابع شهرةٌ فائقة في تلكم الأيام[١٠] .

---

(٨) وقد قالوا عنه : إنه عِلْمُ شَهْرٍ .

(٩) وهذا من الأخطاء الجسيمة ، فمثل هذا العلم ينبغي أن يصحب طالبَ العربية في الأزهر ودار العلوم وكليات الآداب ، طَوالَ سِنِي الدراسة .

(١٠) انظر حديث ذلك في كتابي : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان من هؤلاء المستشرقين مستشرقٌ ألمانيٌّ فاضل ، هو الدكتور « هانس روبرت رويمر » وكان يعمل في تحقيق كتاب (الدرّ الفاخر في سيرة الملك الناصر) وهو الجزء التاسع من كتاب (كنز الدرر وجامع الغرر) ، لابن أيبك الدواداريّ من مؤرّخي القرن الثامن ، وفي أثناء قراءتي معه للنصّ ، جاء هذا البيت :

مِلْكٌ مُنْشِدُ القريضِ لديه ... يضع الثوبَ في يدي بَزّازِ[11]

فسألني ذلك المستشرق : من أي بحرٍ هذا البيت ؟ فأطرقتُ إطراقةً بلهاء ، تبعتْها ضحكةٌ أشدُّ منها بلاهة . فقال لي المستشرق منكراً متعجّباً : طالبٌ بدار العلوم ، متخرجٌ من الأزهر ، لايعرف العروض ؟ فكأنما ألقمَني الرجلُ أحجار القاهرة كلّها . وعُدْتُ إلى بيتي خاسئاً حسيراً ، أجرُّ رجليَّ جرّاً من الزمالك ، حيث يقع المعهد الألماني للآثار ، إلى داري بالدرب الأحمر ، خلف دار الكتب المصرية آنذاك . وما إن وصلت الى بيتي مهدوداً مثقلاً بعناء الخيبة والمشي الطويل حتى هُرِعت إلى صندوق الكتب الدراسية القديمة ، واستخرجت منه كتاب (المذكرات الوافية في علمي العروض والقافية) لمؤلفه الشيخ عبد الفتاح شراقي ، رحمه الله ، وهو ماكان مقرّراً علينا في الأزهر ، وانكببت عليه لاأكاد أدير وجهي عنه صباحَ مساء ، وماهي إلاّ أسابيعُ قليلة حتى لانت لي البحور ، واستقرّت أنغامها في أذني ، وامتلأ بها سمعي .... ثم كان ماكان من رحلتي الطويلة مع تحقيق النُّصوص ، ومن أدواته معرفة علم العروض . وهكذا من انقطع إلى شيءٍ أتقنه .

---

(١١) البيت لأبي الطيب المتنبي . ديوانه ٢ / ١٨٣ ، وليس فيه من قافية الزاي إلاّ تلك القصيدة التي منها ذلك البيت ، وهو من البحر الخفيف ، كما ترى .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومهما يكن من أمر ، فقد عظُمت العنايةُ بعلم العروض في السّنوات الأخيرة ، وشهدت الساحةُ نَفَراً من زملائنا الجامعيّين الجادّين ، الذين اهتمُّوا به في دراساتهم الجامعية العُليا . وبعد أن كان الاهتمام بهذا العلم محصوراً في طائفة من مدرّسي اللغة العربية ، وطبقةٍ من المشايخ الفضلاء المصححين بالمطابع العتيقة ، مثل مطبعة بولاق والحلبي ودار الكتب المصرية ، صار له في الدرس الجامعيّ مكانٌ ومكانة .

وليس يخفى أن لكثير من الشعراء عنايةً بعلم العروض ومعرفةً به ، ولكنْ قد يُوجَد الشاعر ولاتوجد المعرفة بالعروض ، وقد يوجد العروض ولا يوجد الشاعر . وقد كان شيخُ الصّنعة أبو عليّ الفارسيّ ، رحمه الله يقول : « إني لأغبطكم على قول الشعر ، فإنّ خاطري لايُوافقني على قوله ، مع تحقّقي بالعلوم التي هي من موادّه »[١٢] .

وهذه العناية بعلم العروض على السّاحة الجامعية صحبتْها عنايةٌ أخرى ، تمثّلت في نشر نصوصه المخطوطة : فرأينا عروض الأخفش (ماوُجد منه) ، وعروض الورقة للجوهريّ صاحب الصّحاح ، وعروض ابن جني ، والإقناع للصاحب بن عبّاد ، والكافي للخطيب التّبريزي ، والبارع لابن القطاع ، والمعيار في أوزان الأشعار للشّنتريني . ونهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب ، لجمال الدين الإسنوي[١٣] ثم أُعيدت بعض المطبوعات القديمة بتحقيق جيّد ، مثل العيون الغامزة على خبايا الرامزة ، لبدر الدين الدّماميني .

---

(١٢) إنباه الرواة ١ / ٢٧٥ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٨٠ .

(١٣) [وطبع كتاب (القسطاس المستقيم) في العروض للزمخشري ببغداد عام ١٩٦٩ م ، بتحقيق الدكتورة بهيجة باقر الحسني ، ثم طبع ثانية باسم (القسطاس) في حلب عام ١٩٧٧ م ، بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على أن المشتغلين بعلم العروض ، والمهتّمين بقضـايـاه ، يشكُـون من ضيق الشّواهـد العروضيـة وتكرّرهـا ، فشـواهـده هي هي في كلّ كتـابٍ عروضيّ ، وفي كتب الأدب التي عُنِيت بـالعروض ، مثـل العقـد الفريـد لابن عبد ربه ، والحُور العين لنَشوان الحميريّ .

فقول الشاعر :

يـالبكرِ أنشِرُوا لي كليبـاً يـالبكرِ أين أين الفرارْ

وقوله :

إنمـا الـذّلفـاءُ يـاقـوتـةٌ أُخْرِجت مِن كيس دِهقـانِ

وقوله :

سيروا معـاً إنمـا ميعـادُكُمْ يـوم الثـلاثـاء بطنُ الـوادي

وقوله :

أبلـغِ النعمانَ عنّي مـألُكاً أنه قد طال حبسي وانتظـارْ

شواهدُ مكرورة في كلّ كتب العروض ، وكذلك أمثالُها . وفي بعض هـذه الشواهد مِن العُسْر والإلْف وغِياب الشاعريّـة مـاترى . والشّأنُ في ذلـك قريب ؛ فإن أئمتنـا الأوّلين رضوانُ الله عليهم أجمعين ، كانوا ينظرون إلى مثل هذه الشواهد في علم العروض وفي غيره من العلوم الأخرى ـ كشواهد النحو والصرف والبلاغة ـ على أنها نمـاذجُ وقوالبُ للظـاهرة ، ولا عليـك أن تقيسَ عليها وتلتمسَ الظاهرةَ في غيرها ممّـا هو على بـابهـا ونظـامهـا ، فهي أشْبَهُ شيءٍ بالرموز الجبرية (س ، ص) .

وتكرّرُ الشواهـد في كتب العروض حَمَل بعض الـدارسين على التماس أمثلةٍ أخرى مِن الشعر العربيّ ؛ قـديمـه وحـديثـه ، لصُوَر البحور ونمـاذج

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الزحافات والعلل[١٤] .

وهذا الكتاب (ديوان المعاني) لأبي هلال العسكريّ ، كنزٌ من الكنوز الشعرية التي تُعين الباحثَ العروضيَّ على ما يبتغيه من دراسة البحور ، وأنواعِ الزحافات والعِلل ، ومعرفة أكثر البحور وأقلّها دوراناً في الشعر العربيّ ، وأشكال القوافي .

ومثلُ هذه المجاميع الأدبيّة تُعطيك ألواناً من العروض والقوافي لاتجدها في دواوين الشعراء على انفرادها . وأيضاً فإنّ لهذه الدراسات العروضيّة التي تُنتزَعُ من تلك المجموعات الأدبية قيمةً كبيرة ، لأن أشعار تلك المجموعات لاتنتمي إلى عصرٍ واحد ، ولاتنتسب إلى بيئةٍ واحدة . وفي كتابنا هذا تمتدُّ مساحةُ الاستشهاد من العصر الجاهليّ إلى زمان أبي هلال ، أواخر القرن الرابع ، وإن كان أبو هلال قد قلّل من الاستشهاد بالشعر الجاهليّ ، على حين فسح صدر كتابه للإسلاميّين ولمن جاء بعدهم حتى زمانه ، وهو من هذا الجانب في غاية الأهمّية ؛ لأنه يُعدّ مَعْرِضاً كبيراً للشعراء المحدَثين الذين استحدثوا تنويعاتٍ كثيرة في مجزوءات البحور ، وارتكبوا كثيراً من الزحافات النادرة .

كما أن هذه المجموعات الأدبية ـ وهي في أساسها اختيارات ـ لاتقف

---

(١٤) من ذلك كتاب العلاّمة الدكتور عبد الله الطيّب المجذوب : المرشد إلى فهم أشعار العرب . وبعض نماذجه من اختراعاته وتوليداته هو ، وهي إلى الطّرافة ماهي ! مع ماتراه من قَفَزاته العبقريّة ، وقد أتى فيها بكلّ شاذّة وفاذّة .

وكتاب شرح تحفة الخليل . للأستاذ الكبير عبد الحميد الراضي ، وفيه علمٌ غزير .

ثم كتاب صديقي الدكتور محمد عبد المجيد الطويل : في عروض الشعر العربيّ ـ قضايا ومناقشات . وقد طوّف كثيراً بدواوين الشعر القديم والحديث ، كما ألمّ بكثيرٍ من المجموعات الأدبية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عند حدود الشعراء المكْثِرين أصحاب الجَهارة والنَّفَسِ الطويل ، بل إنها تحتفل أيضاً بإنتاج هؤلاء الشعراء الأغفال المقلِّين ، كصاحب البيت الواحد والبيتين ، والقطعة والقطعتين ، وقد تقرأ لشاعرٍ من هؤلاء قطعةً واحدة تهزُّ نفسَك هزّاً ، وتُنْبِئُك أن وراءها شاعراً فحلاً ، كالذي رَوَوْه من شعر أبي الهَوْل الحِميريّ ، وعبد الله بن عبد الأعلى الشيباني ، وكثيرٍ من شعراء الحماسة ، وغيرها[١٥] .

ولقد قمتُ بشيءٍ من الإحصاء العروضيّ في هذا الكتاب ، أنتهى بي إلى ما يلي :

١ ـ مثَّلتْ أشعارُ الكتاب بحورَ الشعر العربيّ ، ماعدا ثلاثةَ بحور ، لم أجدْ لها شاهداً واحداً ، وهي : المقتضب والمضارع والمتدارك . وهذا يؤكّدُ قِلَّتَها .

٢ ـ جاءت البحورُ ومجزوءاتُها في الكتاب ـ من حيثُ عددُها ـ على هذا النحو :

الطويل	٨٩٩	مرّة ـ المديد	١٤	. مرّة	
مشطور المديد	١	مرّة وسأتحدّث عنه			
البسيط	٣١٣	مرّة ـ مخلّع البسيط	١٦	مرّة	

(١٥) ذكروا أن أبا الهَوْل كان له صديقٌ ضَرَب في البلاد فأيْسَر ، فاحتاج أبو الهول إليه فلم يجده بحيث يُحبّ ، فكتب إليه :

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروةً ... فأصبحْتَ فيها بعد عُسْرٍ أخا يُسْرِ
لقد كشف الإثراءُ منك خلائقاً ... من اللؤم كانت تحت ثوبٍ من الفقرِ

ومما أنشدوه لعبد الله بن عبد الأعلى الشيبانيّ :

ياليت ذا خبرٍ عنهمْ يُخبِّرنا ... بل ليت شعريَ ماذا بعدنا فعلُوا
كانوا وكنّا فما نَدْري على وَهَمٍ ... أنحن فيها لَبِثْنا أم هُمُ عَجِلُوا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منهوك البسيط	١	مرّة واحدة وسأتحدث عنه			
الوافر	٢٤٢	مرّة	مجزوء الوافر	٨	مرّة
الكامل	٣٨٥	مرّة	مجزوء الكامل	٤٩	مرّة
الهزج	٢١	مرّة	الرجز	٢١٩	مرّة
مجزوء الرجز	١٩	مرّة	منهوك الرجز	٤	مرّة
الرمل	٣٧	مرّة	مجزوء الرمل	٢٢	مرّة
السريع	١٣٧	مرّة	المنسرح	٨٢	مرّة
الخفيف	١٤٨	مرّة	مجزوء الخفيف	١٢	مرّة
المجتث	١٤	مرّة	المتقارب	١٠٤	مرّة
مجزوء المتقارب	٢	مرّة			

وعلى هذا يكون ترتيب البحور بحَسَب الكثرة والاستفاضة على هذا النحو :

١ ـ الطويل
٢ ـ الكامل
٣ ـ البسيط
٤ ـ الوافر
٥ ـ الرجز
٦ ـ الخفيف
٧ ـ السريع
٨ ـ المتقارب
٩ ـ المنسرح
١٠ ـ الرمل
١١ ـ الهزج
١٢ ـ المديد
١٣ ـ المجتث

وهذه الإحصائيّةُ تؤكد ماقيل من قلّة استعمال المديد والمجتث[١٦] ، فضلاً عن نُدْرة استعمال المقتضب والمضارع والمتدارك ، لعدم وجودها في

(١٦) مع أن وزن المجتثّ من أحلى الأوزان وأعذبها وأقربها إلى النّفس ، ولايُساويه عندي إلاّ الوافر ومايتّصل به من الهزج ، ثم المتقارب . وللناس فيما يسمعون مذاهبُ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الإحصائيّة أصلا . كما أن إحصائيتي هذه تنفي مايقال من أن البحر السريع قليلُ الاستعمال[١٧] ، وكذلك ماقيل عن البحر المنسرح[١٨] .

ولاأحب أن أستكثر وأفيض في مثل هذه القضايا ، لأنها معروفةٌ عند أربابها ، وفيما ذكره أساتذنا وزملاؤنا مَقْنَعٌ وبلاغٌ ، إن شاء الله .

على أني أقف عند قضيتين من القضايا العروضية التي أدّى إليها النظرُ العروضيّ في هذا الكتاب :

القضية الأولى : مشطور المديد

القضية الثانية : منهوك البسيط

---

(١٧) ردّ هذا الصديقُ الدكتور محمد عبد المجيد الطويل . راجع كتابه : في عروض الشعر العربيّ ص ٩٦ ، وانظر مراجعه .

(١٨) المرجع السابق ص ١٢٢ ، وانظر الكلام العالي الشريف الذي ذكره العلاّمة عبد الله الطيب المجذوب ، حول البحر المنسرح ، في المرشد ١ / ١٧٥ ـ ١٩١ وأنشد في كتابه بين النّير والنُّور ص ١٦٩ هذا البيت :

وسرّت النفسَ أمسِ ذاتُ الفرا شـات التي ريمٌ جيدهـا صَنَمُ

ثم قال : هذا بحر المنسرح فاعرِفْه . بحرٌ طَرُوب إلى جارية وحشيّةٍ عَرُوب .

ولصديقي الشاعر الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم أُنْسٌ بهذا البحر ووَلَعٌ ، وقد قرأتُ أنه أصدر ديواناً أداره كلّه على هذا البحر ، مع دراسة نقديّة عن خصائصه الموسيقية والفنّية . على أن بعض أهل العلم يستثقلون هذا البحر ، ويَرَوْن فيه نَثْرِيةً واضحة . ومن طرائف المحقق الكبير الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، رحمه الله ـ وكان آيةً في خِفّة الرُّوح وحَلوِ الدُّعابة ، على جهامةٍ كاذبةٍ في وجهه ـ أنه كان يشكو من تعيين البحر في فهرس القوافي الذي يصطنعه المحقّقون ، ويقول : « واللهِ هذه بدعة ورّطَنا فيها محمود وعبد السلام » .

[يعني شيخينا الجليلين الأستاذ محمود محمد شاكر ، أطال الله في النعمة بقاءه ، والأستاذ عبد السلام محمد هارون ، بَرّد الله مضجعه] .

ثم يضيف الأستاذ أبو الفضل : « على كلّ حال ، إذا أعجزك معرفة بحر البيت فاجعله من المنسرح ؛ لأنك ضامنٌ أن أحداً لن يتعقّبك » يريد أن هذا البحر يدِقُّ على كثير من الناس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أمّا مايتّصل بالقضيّة الأولى : فقد أنشد أبو هلال من شعر ابن المعتز :

ناظرٌ في غُرَّةٍ شَمَّها واشْتَرَطا
وإذا سار رَمَى يده والتَقَطا
وكأنّ مُلْجِمَيْهِ يَفْتَحانِ سَفَطا[19]

وتقطيع هذه الأبيات : فاعلاتن فاعلن فاعلاتن فاعلن مع ماتُطيقه من زحاف . فبعض العروضيين يعدّها من مشطور المديد ، وبعضُهم يراها من مجزوء الرمل . وقالوا : إنه وزنٌ نادر ، لم يذكره الخليل ، ولا الأخفش (سعيد بن مسعدة) ، وأبو إسحاق الزجّاج يرى أنه من مجزوء الرمل . وأنشدوا عليه من أبيات الحماسة :

طافَ يبغي نجوةً من هلاكٍ فهلَكْ
ليت شعري ضلّةً أيُّ شيءٍ قتلكْ
أمريضٌ لم تُعَدْ أم عدوٌّ ختلَكْ
كلُّ شيءٍ قاتلٌ حين تلقى أجلَكْ
والمنايا رَصَدٌ للفتى حيث سَلَكْ

وأنشدوا عليه أيضاً لابن المعتز :

إنما شيبُ الفتى ناصحٌ إن فَعَلا
ما على الناصح أنْ ينتهي مَن جَهِلا
غيرَ أنْ حذّرَه وأراه السُّبُلا[20]

وله منه أيضا :

---

(١٩) ديوان المعاني ٢ / ١١٣ ، وديوانه ٢ / ٧٨ ، وعدّه المحقق من مجزوء الكامل ، وليس صحيحاً كما ترى .

(٢٠) ديوانه ١ / ١٤٩ ، من قصيدته التي مطلعها :

أأللتَ طللاً بالبراقِ قد خلا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خـــان عهـــدي وظَلَمْ جـــــائرٌ فيما حَكَمْ[٢١]

وبعض العروضيّين على أن المديد لا يأتي مشطوراً ، ومثلُ هذه الأبيات عندهم من وافي المديد ، إلاّ أنها مصرَّعةُ الأبيات . وأبو إسحاق الزجاج - كما سبق - يذهب إلى أنها من مجزوء الرمل المحذوف الضرب والعروض . وحكى الدماميني عن بعضهم أن هذا هو قياسُ مذهب الخليل ، والحملُ عليه أولى من الحمل على تامّ المديد ؛ لأنه يلزم عليه شذوذان : مجيء المديد تامّاً ، والتزام التصريع في القصيدة ، وهذا يلزم عليه مجيء عروض الرمل محذوفة خاصة[٢٢] .

وأما الثانية : فقد أنشد أبو هلال لابن المعتزّ :

تحملني طِرْفـــــةٌ صـــــادرةٌ واردَهْ
تُرضيـــك في يـومهـــا وهْي غـــداً زائـــدَهْ
ورجلهـــــا تقتضي ويـدُهـا جـاحـدَهْ[٢٣]

وتقطيع هذه الأبيات : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مع ماتُطيقه مِن زحاف . وعلى هذا الوزن أنشدوا لأبي العلاء :

دنيـــاك مـومـوقـــةٌ أكثرُ مِن أختهـــــا
لم تُبـقِ من جَـزلهـــا شيئـــاً ولا شختِهـــا

(٢١) ديوانه ١ / ٣٤٣ .

(٢٢) العيون الغامزة ص ١٥١ ، ١٩٢ ، وانظر عروض الورقة ص ٦٠ والبارع ص ١٠٨ ، وشرح الحماسة للمرزوقي ص ٩١٤ - ٩١٦ ، وشرح تحفة الخليل ص ١١١ ، ٢١٢ ، وفي عروض الشعر العربيّ ص ٥٥ .

ويرى العلاّمة الدكتور عبد الله الطيب أن ماذكروه من مجزوء المديد إنما يدخل في باب الرجز المجزوء . المرشد ١ / ١٣٧ ، ولم يُتابَعْ عليه !

(٢٣) ديوان المعاني ٢ / ١١٦ ، وديوانه ٣ / ١٥٦ ، وفي طبعة الدكتور محمد بديع شريف ٢ / ٣٩٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولأمير الشعراء في عصرنا أحمد شوقي :

طـــال عليهـــا القِـــدمْ فهْيَ وجـــودٌ عَـــــدَمْ
قـــد وُئِـــدَتْ في الصِّبـــا وانبعثت في الهرمْ

ولشاعر القَطْرين خليل مطران ، يُعزّي :

يـــا ثـــاكـــلاً بعضَـــهُ مسُّ الرَّدَى أجمعَـــــكْ
تُراكَ شيَّعْتَـــــــهُ والصَّبْرُ قـــد شيَّعَـــكْ
قلبُـــكَ في نعشِـــهِ والمـــوتُ حيٌّ معـــكْ

وله أيضاً :

فـــوق الكـــلام العمـــلْ بـــه نجـــاحُ الأمـــلْ
أيُّهما مفلـــــــحُ من قـــال أم مَن فعَـــلْ

وهـذا وزن مُرْقِص ، كما تسمع ، وهو عنـد أبي العلاء من الرجز ، بـل من أضعف الرجز ، وأنشد منه أبياتاً منسوبة لامرئ القيس :

يـــاصَحْبنـــا عرِّجـــوا تقِفْ بكم أُسُـــــجُ
مهريّـــــةٌ دُلُـــجُ في سيرهـــا مَعَـــجُ[٢٤]

والجوهريُّ يُسمّيه : مُربَّع البسيط . وذكر أنه محدَث[٢٥] . ويُسمّيه الدكتور عبـد الله الطيب : البسيـط المنهوك . وكتب في حـواشيـه أنـه عنـد العروضيّين ضربٌ من المتقـارب ، دخلـه الخَرْمُ ، وهـو حـذف أوّل متحرّك[٢٦] .

ولم يذكر الدكتور الجليل أحداً من هؤلاء العروضيين ، وأظُنُّ ظنّاً

(٢٤) رسالة الغفران ص ٣١٢ ، يقول أبو العلاء على لسان امرئ القيس : والرجز من أضعف الشعر . وهذا الوزن من أضعف الرجز .

(٢٥) عروض الورقة ص ٦٣ ، وانظر تحليل محققه ص ٣٦ .

(٢٦) المرشد ١ / ٨٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن هـذا الرأي إنمـا خرج من كِيسـه هـو ، فـإني لم أجـد أحـداً من العروضيين - فيما بين يديّ من كتبهم - أشار إلى ذلك[٢٧] .

والأستاذ عبـد الحميـد الراضي يردُّ هـذا الوزن إلى مشطور البسيـط ، ويعدُّه من شاذّ البسيط ، ثم يقول : وهذا الوزن في الواقع أشبه مـايكون في دندنته بالسريع ، فهو سريعٌ قد حُذف الجزء الأول من شطريـه ، ولو جاز لنا أن نحوِّر في مصطلح العروضيين لسمَّيناه مجزوء السريع ، ولانرى أيَّ قرابةٍ بينه وبين البسيط أو الرجز أو المتقارب[٢٨] .

وهـذه الثلاثـةُ الأبيـات من شعر ابن المعتزّ ، التي أدَرْتُ عليهـا هـذه القضية العروضية ، من قصيدة في ديوان ابن المعتز ، عِدَّةُ أبياتها ثمانيـة وعشرون بيتـاً[٢٩] . وقـد لفت نظري أنـه جـاء في حـواشيـه من هـوامش إحدى نُسَخه تعليقا على وزن القصيدة ، هذا الكلام :

(في كلّ بيتين بيتين منـه البسيطُ التـامّ) وكأنّ كاتبَ هـذا التعليق عروضيٌّ يرفض هـذا الشكل من مشطور البسيـط أو منهوكـه . لكنّ هـذا يلزم عليه محظوران عروضيان : الأول التزامُ التصريع في القصيدة ، وقـد رفضوه وشَذَّذُوه ، كما سبق قريباً عن المديد التامّ والمشطور . والثـاني تركُ خَبْن العروض ، والخبن فيه لازم[٣٠] .

نَعَمْ .. ذكر الجوهريُّ بيتاً من تامّ البسيط لازحافَ فيه ، وهو :

---

(٢٧) وانظر العيـون الغـامـزة ص ١٦٠ ، وشرح تحفـة الخليـل ص ١٣٠ - ١٣٢ ، وفي عروض الشعر العربيّ ص ١٢٩ .

(٢٨) راجع الموضع المذكور من كتابه شرح تحفة الخليل .

(٢٩) ديوانه ٣ / ١٥٤ - ١٥٦ .

(٣٠) ولذلك قالوا إنه زِحافٌ يجري مجرى العِلّة للزومـه ، مثل « القَبْض » في عروض الطويل . راجع العيون الغامزة ص ٧٧ (الزحاف المفرد) ، وانظر شرح تحفة الخليل ص ٤٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ياحاديَ العِيس مهلاً لستَ بالقابسِ عُوجا قَلُوصَيْكما بالمنزلِ الدارسِ

لكنه قال : وهذا مُحَدث ، ولم يجئْ عن العرب في مُثَمَّنه بيتٌ صحيح[٣١]

وهذا حديثُ بعض الزحافات النادرة التي وقعَتْ لي في هذا الكتاب (ديوان المعاني) : أنشد أبو هلال لابن المعتز :

مِن كفّ ريمٍ تُثنَى مناطقُهُ على هضيم الكَشْحَيْن مَمْشُوقِ

يُعطيك ماشاء من مُعانقةٍ مُقفلةٍ من وراء معشوقِ

مسطّرَ الخدّ بالعِذار ولا يحسنُ غُصْنٌ إلاّ بتوريقِ[٣٢]

وهو من المنسرح المقطوع[٣٣] الضَّرب (مفعولن) . وقال التَّبريزيّ : إنّ هذا الضربَ لم يذكره الخليل[٣٤] . وقال ابن عباد : وقد وُجد في الشعر القديم والمحدَث ضَرْبٌ آخر ، « مفعولن » ، ففي الشعر القديم ماأنشده أبو حنيفة الدِّينَوريّ وفي كتاب النبات :

ذاك وقد أذعر الوحوش بصَلْـ ـتِ الخدّ رحبٍ لبانُهُ مُجْفَرْ

وفي المحدَث :

اللهُ بيني وبين مولاتي أبدَتْ لِيَ الصَّدَّ والمَلالاتِ[٣٥]

وهذا البيت القديم الذي أنشدوه لهذا الضَّرب ، لعبد الغفار الخُزاعيّ . وقد أنشده ابن قتيبة مع بيتٍ آخر ، في المعاني الكبير ، ومع أبياتٍ أُخر

---

(٣١) عروض الورقة ص ٦٣ ، ولم ينسب الجوهريُّ هذا الشاهد ، وكذلك لم ينسبْه المحقق ، ولم يذكر له مرجعاً آخر . انظر تخريجه ص ١٠٤ .

(٣٢) ديوان المعاني ١ / ٢٤٨ [ديوان ابن المعتز ٢ : ١٨٣ ط بغداد ، ٢ : ٢٨٤ ط دار المعارف]

(٣٣) المقطوع : ماأسقط ساكنُ وتده وأسكن متحرّكه .

(٣٤) الكافي ص ١٠٥ .

(٣٥) الإقناع ص ٥٧ ، والبيت المحدَث لأبي العتاهية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في عيون الأخبار ، وفي كلا الكتابين حكى عن أبي عبيدة قوله : « إنه لايَعرِف قائلَ هذا الشعر ، وأنَّ عروضَه لايُخرَّج »[٣٦] أي لايستقيم على سَنَن العروض . لكنَّ الخالِديَّيْن نَسَبا هذا القولَ إلى ابن قتيبة ، قالا : « ذكر ابن قتيبة أن هذا الشعر لايُخرَّج من العروض . ولاندري على مايُنَزِّلُ [يُترك] هذا القول ، مع صحّة هذا الشعر في الذوق وسلوكه في السمع »[٣٧] .

وعبارة أبي عليّ القالي صريحةٌ في نسبة ذلك الكلام إلى أبي عبيدة ، قال أبو عليّ : « أنشد أبو عبيدة لعبد الغفار الخزاعيّ هذه الأبيات ، وذكر أن عروضها لاتُخَرَّج »[٣٨] .

ومهما يكن من أمر ، فقد حكى الدماميني عن ابن بَرّي ، قال : « وهذا الضَّربُ مما استحسنه المحدَثُون ، واكثروا منه ؛ لحُسْن اتّساقه وعُذوبة مساقِه ، حتى استعملوه غير مَرْدُوف ، كقول ابن الرُّومي من قطعة :

لو كنت يوم الوَداع شاهدَنا ... وهُنَّ يُطْفِين لوعةَ الوجدِ
لم ترَ إلاّ دموعَ باكيةٍ ... تسفحُ من مقلةٍ على خدِّ
كأن تلك الدموعَ قطرُ ندًى ... يقطُرُ من نرجسٍ على وردِ »[٣٩] .

هذا وقد رأيت من هذا الضرب المقطوع في كتاب أبي هلال ، أبياتاً

(٣٦) المعاني الكبير ص ١١٠ ، وعيون الأخبار ١ / ١٥٧

(٣٧) الأشباه والنظائر ٢ / ١٦٠ .

(٣٨) ذيل الأمالي ـ وهو الجزء الثالث منها ـ ص ١٩١ .

(٣٩) العيون الغامزة ص ٢٠٣ ، وانظر شرح تحفة الخليل ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، فقد أدار صاحبُه كلاماً جيداً في نقد أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس ، فيما ذهب إليه من أن مجيءَ هذا الضرب المقطوع من المنسرح قليل في شعر العباسيّين ، ثم في خلطِه شعراً من مخلّع البسيط بالمنسرح .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذواتِ عدد ، منها ماأنشده لابن المعتز ـ وهو من هو في المحدَثين ـ

مِن كفِّ ريمٍ . . . . . الأبيـــــات التي سبقت

وقوله :

للمـاء فيهـا كتـابـةٌ عَجَبٌ كمثـل نَقْشٍ في فَصِّ يـاقـوتِ[٤٠]

وقوله في وصف دِيك :

وقـام فـوق الجِـدار مُشْتَرِفٌ كمثـلِ طرفٍ أعـلاه أسـوارُ

رافـع رأسٍ طـوراً وخـافضُـهُ كأنمـا العُرفُ منـه مِنشـارُ[٤١]

ومنه لابن طَباطبا العلويّ الأصبهانيّ ، في الأُتْرُج :

ريحـانـةٌ في اصفِرار مُهْـديهـا شبَّهْتُهـا بعـد فكرةٍ فيهـا

أحبَّـةٌ لم تَصِـخْ لعـاذِلهـا تَسُـدُّ آذانَهـا بـأيـديهـا[٤٢]

ويُلاحظ أن القطع (مفعولن) جاء أيضاً في عروض البيت الأول ، وهو التصريع ، كما سبق في بيت أبي العتاهية .

وللسَّرِيّ الرفّاء :

لو جُمِّدتْ راحُنا اغتدتْ ذَهَبا أو ذابَ تُفّاحُنا غدا راحا[٤٣]

ولنصر بن أحمد :

أكلتُ تفّاحـةً فعـاتبني فقيّ رآهـا كخَـدِّ معشوقِـهْ

فقـال : خـدُّ الحبيبَ تـأكلُـهُ فقلتُ لا بلْ أمَصُّ من ريقـهْ[٤٤]

ولابن أبي البغل :

---

(٤٠) ديوان المعاني ١ / ٣٠٩ .

(٤١) ديوان المعاني ٢ / ١٣٧ .

(٤٢) ديوان المعاني ٢ / ٣٦ .

(٤٣) ديوان المعاني ٢ / ٣٧ .

(٤٤) الموضع السابق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بـــــــاحَ ضميري بمُضْمِر الأمرِ وذاك أنّي أقـولُ بـــالـــدهرِ
وليس بعـــد المماتِ حـــادثـــةٌ وإنمـا الموتُ بيضـــةُ العُقْرِ[٤٥]

وهذا أيضاً جاء فيه القطعُ في عروض البيت الأول ، وهو التصريع .

ولشاعرٍ مجهول [هو السريّ الرفاء ، ديوانه : ١٥٥]

مَن ذمَّ إدريس في قيـــادتـــه فـــإنني شـــاكرٌ لإدريسِ
مَنْ بمُسْتصْعَبٍ فجـــاء بـــه أطْـــــوعَ مِن آدمٍ لإبليسِ
وكان في سُرعـــةِ المجيء بـــه آصفَ في حمـــلِ عرش بلقيسِ[٤٦]

ومن شعر أبي هلال نفسه :

إذا التـوى الصُّـدغُ فـوقَ وَجْنتـهِ رأيتَ تُفّـاحـــةً بهـــا عَضَّـــهْ[٤٧]

وقوله :

صيَّرني البينُ عُرضـــــةَ الحَيْنِ لأرْبَـــحَ اللهُ صَفْقـــــةَ البَيْنِ
قـــد طـــال يـومي وليلتي بهمُ لَمـــــا يـــــزالا بهم قصيريْنِ

إلى آخر أبيات أربعة[٤٨] .

وقوله :

إن كنتَ ترتـــادُ منظراً عَجَبـــاً فـانظُرْ إلى البَـدْرِ في يـد القِرْدِ

إلى آخر الخمسة الأبيات[٤٩]

فاستعمال هذا الضرب من المنسرح كثيرٌ ، كما رأيتَ .

---

(٤٥) ديوان المعاني ٢ / ٢٥١ ، وهذا من شعر الملاحدة .
(٤٦) ديوان المعاني ٢ / ٢٤٦ .
(٤٧) ديوان المعاني ١ / ٢٤٧ .
(٤٨) ديوان المعاني ١ / ٣٥٠ .
(٤٩) ديوان المعاني ٢ / ٩٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من مشاكل تعيين البحر وصُورة القافية

هذه المجاميع الأدبيّة كثيراً ماتُنشد البيت فقط أو البيتين ، كما أنّ بعضَ مَن تُنشد لهم البيتَ والبيتين من الشعراء المقلّين ، أو الأغفال الذين ليس لهم دواوينُ مطبوعة ، بحيث تُمكن المراجعة والتحقيق . وهذا يؤدّي لامحالةَ إلى التردّد في تعيين البحر ، في حالة التشابه والتداخل مع بحرٍ آخَر[٥٠] ، وقَلْ هذا في تعيين صورة الرويّ ، إطلاقاً أو تقييداً ، إذا كان الوزنُ يحتملها . وقد صادفت من هذا او ذاك الكثير . فمنه : أنشد أبو هلال لنفسه :

عيّرْتني أنْ رُحْتُ في سَمَـــــلٍ والدُّرُّ لاتُزْرِي بـه الصَّدَفُ[٥١]

وهذا من السريع ، كما ترى ، عروضه مخبولة مكشوفة[٥٢] ، وكذلك ضَرْبها :

مستفعلنْ مستفعلنْ فَعِلُنْ مستفعلنْ مستفعلنْ فَعِلُنْ

كالذي جاء في بيت المرقّش الأكبر الذي يستشهد به العروضيون :

النَّشْرُ مِسْكٌ والوجوه دنا نيرٌ وأطرافُ الأكفّ عَنَمْ

وهكذا اعتبرتُ البيت من السريع ، حتى جاءت مقطوعةٌ أخرى لأبي هلال ، وفيها البيت السابق على هذا النحو :

إن كان شكلُك غير متفقٍ فكذا خِلالُك غير مؤتلفَهْ

---

(٥٠) هذه التداخلات بين البحور معروفة لدارسي العروض ، وقد أشرتُ إليها من قبل ، ولاداعي للتكثُّر بذكرها . وانظر حديثاً عن هذا التداخل ، عند الدكتور صالح بدوي ، في تقديمه لعروض الورقة ص ٣٦ .

(٥١) ديوان المعاني ١ / ٨٠ .

(٥٢) وذلك لأنّ أصله « مفعولاتُ » كُشِف بحَذْف تائه ، وخُبِل بحذف فائه وواوه ، فصار « مَعْلا » ، ونُقِل إلى « فَعِلُن » العيون الغامزة ص ١٩٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من عصبـــةٍ شتّى إذا اجتمعـوا شبّهْتُ دارَكمُ بـــه عَرَفَـــهْ
صُوِّرْتَ مِن نُطَفٍ قـد اختلفتْ فـأتتْ خِـلالَـكَ وهْيَ مختلفَـهْ
فـورثْتَ من ذا قبْـحَ منظرهِ وورِثْتَ ذاك خَنـاه أو صلَفَـهْ
عيَّرْتني أنْ رُحْتُ في سَمَـلٍ والـدرُّ لاتُـزْرِي بـه الصَّدَفَـهْ

وهذه المقطوعة من الكامل لامحالة ، ودخل بعضَها الإضمار - وهو سكون الثاني من مُتَفاعِلُنْ - ثم دخل أعاريضَها وأضْرُبَها الحَذَذ - وهو حذف الوتد المجموع من آخر الجزء - على مايستشهد العروضيّون :

دمَنٌ عفَتْ ومحـا معـارفَهـا هَطِـلٌ أجَشُّ وبـارِحٌ تَرِبُ

وإنما حكمت بأن المقطوعة من البحر الكامل ؛ لوجود « مُتَفاعِلُنْ » فيها سالمةً أكثر من مرّة ، ولو لم تكن إلاّ « متفاعلن » واحدة سليمة في القصيدة لقَضَيْنا بأنها من الكامل ، وإن كان هذا لايُرْضِي بعضَ أهل العِلم ومنهم صديقنا الدكتور محمد عبد المجيد الطويل[٥٣] ، حين عَرَض لقضيّة اختلاط السريع بالكامل . فهو يردُّ الأمر إلى الكثرة والقِلّة ، وأنا مع العروضيّين أردُّه إلى النظام[٥٤] . وقُلْ مثل هذا في الرجز والكامل المضمر إذا سلمتْ منه « مُتَفاعِلُنْ » واحدة ، وفي الهزج ومجزوء الوافر المعصوب ، إذا سلمتْ في القصيدة « مُفاعَلَتُنْ » واحدة . ألا ترى أن المرءَ يُنْسَب إلى المكارِم والمَحامِد بفَعْلةٍ واحدة ؟

(٥٣) انظر كتابه في عروض الشعر العربي ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٥٤) فهذه واحدة . أما الثانية فإني أنكر على الدكتور الطويل ماتناول به شيخنا علاّمة الشام الأستاذ الجليل أحمد راتب النفاخ - حرس الله مهجته - فإنّ من الواضح أن أخي الدكتور الطويل لم يقرأ كلام شيخنا - حول تخليط المرقّش في قصيدته الميمية - من مكانه ، وإنما رآه من خلال تعليق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) . فإن شيخنا أحمد راتب النفاخ أكبرُ وأعلى من أن يُنسَبَ إليه خلطٌ في علمٍ من علوم العربية . وهذا كلامٌ لأرسله إرسالاً ، وإنما أقوله في اطمئنان شديد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا وقد جاءت في (ديوان المعاني) المطبوع بعضُ أبيات على غير وجهها ، فنُسبَتْ إلى غير بحورها ، ثم ردَّتْها المراجعةُ والتحقيق إلى حاقّ موضِعها . فمن ذلك :

أنشد أبو هلال لأبي تمام هذا العَجُز :

والحَرْبُ مُشْتَقَّةٌ من الحَرَبِ

وهو كما ترى من المنسرح . لكنه جاء في ديوان أبي تمام هكذا :

لَمّا رأى الحربَ رأْيَ العينِ تُوفَلِسَ والحربُ مشتقَّةُ المعنى من الحَرَبِ

فاستقام من البسيط[٥٥] .

وأنشد أبو هلال لابن الرومي :

ليستْ تزُولُ ولكنْ تزيدُ

وهو على هذه الصورة من المتقارب المخروم . لكنّ الواوَ فيه مُقْحمة ، وهو بتمامه في ديوان الشاعر :

ذي نجومٍ كأنهنّ نجوم الشِّيب ليست تزول لكنْ تزيدُ

فأنت تراه من الخفيف[٥٦] .

والثالثة : أنشد أبو هلال للأعشى :

وصفراء العشيّة كالعَرارَهْ

فهو شَطْرٌ من الوافر . لكنك تقرؤه في ديوان الأعشى :

بيضاء ضحوتها وصفراء العشيّة كالعرارَهْ

فتردُّه إلى مجزوء الكامل المرفَّل[٥٧] .

---

(٥٥) ديوان المعاني ٢ / ٦٦ ، وديوان أبي تمام ١ / ٦٤ .

(٥٦) ديوان المعاني ١ / ٣٤٩ ، وديوان ابن الرومي ص ٦٩٢ .

(٥٧) ديوان المعاني ٢ / ١٣ ، وديوان الأعشى ص ١٥٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والأخيرة : أنشد أبو هلال :

مـــابـــالُ مَن أوّلُـــه نطفـــةٌ وآخِرُه جِيفـــــــــــةٌ يَفْخَرُ

وصدرُ البيت من السريع ، وعجزُه من المتقارب . وصوابُ إنشاد العَجُز :

وجيفـــــــــةٌ آخرهُ يفخرُ

وهو من قصيدة من السريع لأبي العتاهية[٥٨] .

وهكذا يظهرُ لك ضرورةُ تخريج الشعر من دواوين أصحابه ، وأنّ مِن عُدّةِ محقّق النُّصوص في أيّ فروع العربية ، أن يكون على صلةٍ وثيقة بعلم العَروض ، ثم بالمكتبة الأدبيّة ، شعرِها ونثرِها .

أمّا مايتّصل بهيئة القافية ، من تقييد وإطلاق ، فهو ممّا يعترض مفهرسَ تلك المجاميعِ الأدبيةِ التي تزخر بالبيت المفرد ، والبيتين والثلاثة ، بمَعْزِلٍ عن القصيدة كلّها . وواضحٌ أن الصعوبةَ تأتي حين يحتملُ الوزنُ الأمرين : الإطلاق والتقييد ، وقد صادفتُ من ذلك بعض الأشعار . منها ماأنشده أبو هلال ، من قول الشاعر :

يرقـــونـــــه فكأنّما يعنى برُقْيتـــه سِـــواه[٥٩]

وهو بيتٌ مفرَد ، فيجوز أن يُنشد بسكون الهاء ، فيكون من [مجزوء] الكامل المُذَيّل ، ويجوز أن تُحرّكَ الهاءُ بالضمّ ، فيكون من المرفّل . ومن ذلك قول التّنوخيّ :

لِمَ لاتُجَنّ بهـــــا القلـــــو ب وقد غدتْ مثل القلوب[٦٠]

ومنه ماأنشده لإبراهيم بن العباس الصُّوليّ :

---

(٥٨) ديوان المعاني ١ / ١٦٥ ، وأبو العتاهية : أشعاره وأخباره ص ١٥٢ ، والكامل ص ٥٢٢ .

(٥٩) ديوان المعاني ٢ / ١٤٦ .

(٦٠) ديوان المعاني ٢ / ٣٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بلوتُ الزمانَ وأهلَ الزمانِ وكلٌّ بلومٍ وذمٍّ حقيقُ
فأوحَشَني من صديقي الزمانُ وآنَسَني بالعدوّ الصديقُ[٦١]

وهو من المتقارب . والقاف تحتمل أن تتحرّك بالضمّ فيكون من الضَّرْب السالم ، ويُمكن أن تتقيّد بالسكون فيكون من المقصور . وقد ضبطها العلاّمة عبد العزيز الميمني الراجكوتي بالضم[٦٢] ، لكنه لم يذكر إلاّ البيتين اللذين عند أبي هلال . فهل قال إبراهيم الصولي هذين البيتين فقط ، أم أنهما مقتطعتان من قصيدة ، فيها من الرويّ مايقتضي التقييد أو الإطلاق ؟

وهذه المشكلة تأتي كثيراً في الاستشهاد ، فَتَرى رَويَّ بعضِ الشواهد على حال ، فإذا أنت رجعْتَ إلى القصيدة رأيتَ الرويَّ على حالٍ أخرى ، وقد صادفني في تحقيقاتي شيء من ذلك ، أذكر منه :

يستشهد العروضيُّون على الضَّرب الثاني من العروض الأولى من المتقارب ـ وهو المقصور ـ بقول أميّة بن أبي عائذ الهذليّ :

ويأوي إلى نِسْوةٍ بائساتٍ وشُعْثٍ مراضيعَ مثلِ السَّعالْ[٦٣]

بسكوْن اللام ، على التقييد . فإذا أنت رجْعتَ إلى شعر أميّة في أشعار الهذليين وجدتَ القصيدةَ كلَّها مطلقةً بالكسر[٦٤] .

وقد نبّه على هذا البغداديُّ ، رحمه الله ، فقال : « والبيت مُطلَقٌ

---

(٦١) ديوان المعاني ٢ / ٢٠٠ .

(٦٢) ديوان إبراهيم الصُّوليّ ـ ضمن الطرائف الأدبية ص ١٦١ .

(٦٣) الكافي ص ١٣٠ ، والعيون الغامزة ص ٢١٦ .

(٦٤) شرح أشعار الهذليين ص ٥٠٧ . وجاء عكس هذا في شعر ابن المعتز ، فقد ضبط المحقّقُ الرّويَّ بالضم ، على الإطلاق . والصواب أن يكون بالسكون ، على التقييد . راجع تعليقي على اللام الساكنة من السريع « الجبالْ » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الرويّ ، فهو بكسر اللام من « السِّعالي » كما أنشده سيبويه . قال النحّاسُ : هكذا أخذناه عن أبي إسحاق وأبي الحسن ، وهو الصواب . وأنشد هذا البيتَ العَروضيُّون ، منهم الأخفش سعيد : « مثل السِّعالْ » بإسكان اللام ، ولايجوز إلاّ ذلك على ما رَوَوْه ؛ لأنهم جعلوه من المتقارب ، من الضَّرب الثاني من العَروض الأولى »[٦٥] .

وإليك شاهداً آخَرَ من المتقارب أيضاً ، ومن شعر الهذليين كذلك ، وهو قولُ أبي ذُؤيب الهذليّ :

فلم يَبْقَ منها سوى هامدٍ ... وسُفْعِ الخُدودِ وغير النُّئِيْ

رُوِي « النُّئِيْ » بكسر الهمزة وسكون الياء ، ورُوِي « معاً والنُّئِيُّ » بضمّ الياء مُشدّدة . وكلا الضبطين صحيح . قال بدرُ الدين العَينيّ ، بعد أن ذكر أن القصيدة من البحر المتقارب : « وهذه القصيدة تروى مطلقةً مرفوعة ، وتُروَى مقيَّدةً ساكنة ، فَمن أطلقها كانت من الضَّرب الأوّل ، ووزنه « فعولن » ، ومن قيَّدها كانت من الضَّرب الثالث وهو المحذوف »[٦٦] .

قلتُ : والقصيدة في أشعار الهذليين مطلقةٌ بالضم . ومطلعها :

عرفْتُ الديارَ كوَهْمِ الـ ... ـدِّوا ةِ يَذْبُرُها الكاتبُ الحِمْيريُّ

ورواية البيت فيها :

فلم يبقْ منها سوى هامدٍ ... وسُفْعُ الخُدودِ معاً والنُّئِيِّ[٦٧]

---

(٦٥) خزانة الأدب ٢ / ٤٢٧ . وراجع شرح تحفة الخليل ص ٢٨٤ .

(٦٦) المقاصد النحوية ١ / ٣٩٩ [وقد جاء نحو هذه المقالة في شرح المفصل لابن يعيش ١ : ٣١] .

(٦٧) شرح أشعار الهذليين ص ١٠٠ ، وراجع كتاب الشعر لأبي علي الفارسيّ ص ٤٥٢ ، ففي حواشيه إشارة إلى رواية ثالثة تالفة « وغير النُّئِيّ » بتشديد الياء المكسورة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وبعد : فما أردتُ بهذه الكلمات الموجزة عن العروض في كتاب (ديوان المعاني) إلاّ تحريكَ زملائنا العروضيّين ليلتفتوا التفاتةً جادّة إلى هذه الكنوز المخبوءة في تلك المجاميع الأدبية ، كهذا الكتاب ، ويتيمة الدهر ، وزهر الآداب ، وبهجة المجالس ، ومحاضرات الأدباء ، والغيث المسجم ، وألف باء ، والمستطرف ، وثمرات الأوراق . وماإلى ذلك من تلكم الموسوعات .... فهي خزائنُ علمٍ وقِلاعُ فِكْر ، وليست أوراقاً صفراءَ للتّسْلية وإزجاء الفراغ ... كما خدَعُونا في زمان الصِّبا وأوائلِ الطَّلَب !

فهرسة الشعر

الشعرُ ديوانُ العرب . أنّى التفتَّ وجدتَه . وقد قلتُ عنه يوماً : الشعرُ ماعرفْتَ : متعةُ الأديب ، وذوقُ البلاغيّ ، وحجّةُ المفسّر ، وسَنَدُ الأصوليّ ، ودليلُ الفقيه ، وشاهدُ النحويّ ، وميزانُ العَرُوضيّ ، ووثيقةُ المؤرّخ ، وخارطةُ الجغرافيّ .

ثم هو من قبلُ ومن بعدُ : بَوْحُ العاشق ، ونَفْثةُ المصدور ، وحنينُ الغريب ، وأنينُ الفاقد ، وبَهْجةُ الواجد ، ومَرْثيةُ العزيز ، وآهةُ المُلْتاع ، وتجربةُ الحكيم .

استودَعَه العربيُّ أسرارَ حياته ، واستراح إليه فأفْضَى إليه بمَواجعه ، وبَثّه أشواقه ، وقيّد به المآثِر ، وحفِظ به الأنساب ، واستنْفَر به العَزائم ، واستنهض الهمم ، وسَجّل به العادات والتقاليد ، وذكَر الأيام .

وقد صحِبه في غُدوّه ورَواحه ، فحَدا به رَكُوبتَه ، وآنسَ به حَلُوبَتَه ، ووصف به سماءَه وأرضَه ، ونباتَه ونخيلَه ، وسُهولَه ووِدْيانَه وجبالَه ، ومياهَه وحيوانَه . أليس هو ديوانَ العرب ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم يُودَعْ هذا الشعر جُدرانَ المعابد ولَفائفَ البَرْدِيّ ، كتُراث اليونان وقدماء المصريين ، بل وعَتْه صدور الرُّواة والنُّقَلَة ، وسلَّمتْه أجيالٌ إلى أجيال ، حتى أظلَّ زمانُ التدوين ، وأخذ الشعرُ حظَّه منه ، شأنَه شأنُ علوم العرب الأخرى[٦٨] .

والشعرُ بهذه المثابة مَنْداحٌ في المكتبة العربيّة كلِّها ، ومخطئٌ مَن يلتمسه في دواوين الشعراء فقط ، ومخطئٌ كذلك من يطلبه في كتب الأدب والبلاغة فقط ، فأنت واجدٌ في كتب التاريخ والتراجم والطبقات ، وكتب البلدان والجغرافيا[٦٩] ، مِن حُرِّ الشّعر وكريم النّثْر مالاتجده في كتب الأدب . وقُلْ مثل هذا في كتب تفسير القرآن الكريم ، وشروح الحديث ، وأصول الفقه وعِلم الكلام والنحو ، وسائر علوم العربية .

وكم هي أمينةٌ عزيزة أن يُجمعَ شعرُنا العربيّ من المكتبة العربية كلِّها ويُفَهْرَس . ولَئِنْ فاتنا ذلك ، فلا ينبغي أن يفُوتَنا جَمعُ هذا الشّعر من كتب الأدب ومجاميعه الكبيرة .

إنّ هذه المجاميع تحفل بألوانٍ من الصور الشعريّة لدى بعض الشعراء المقلّين لاتكاد تجدها عند بعض الشعراء الكبار أصحاب الدواوين . وستظلُّ صورةُ الشعر العربيّ مهتزّةً غائمةً مالم يُلتفَتْ إلى شعر هؤلاء

(٦٨) مقدمة تحقيق كتاب الشّعر ، لأبي علي الفارسي ص ١٤ .

(٦٩) انظر على سبيل المثال : مروج الذهب للمسعودي ، ووفيات الأعيان لابن خلّكان ، وسير أعلام النبلاء للذهبيّ ، والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي ، وطبقات الشافعية للتاج السّبكيّ ، والنجوم الزاهرة لابن تغزي بردي ، ونهاية الأرب للنُّويري ، وصبح الأعشى للقلقشندي . ومعجم ماستعجم للبكري - وهو مهم جداً في جَمْع الشّعر - ومعجم البلدان لياقوت الحموي الرومي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الشعراء المقلّين ، المنثور في كتب الاختيارات والحماسات وكتب المعاني ، وسائر المجاميع الأدبية ، ثم في كتب علوم العربية الأخرى .

ومِن عَجبٍ أن المستشرقين حين اشتغلوا بتراثنا في القرن الماضي وقبله ، تنبّهوا إلى أهمّية شعر هؤلاء المقلّين ـ وبخاصّة في العصر الجاهليّ ، فعكفوا عليه وجمعُوه[٧٠] .

ثم كانت عَزْمةٌ قويّة مِن عَزَمات إخواننا العراقيّين في السّنوات الأخيرة لنشر هذا الشعر بعد جَمْعه مِن مظانّه ، ودراسة الخصائص الفنية لشعرائه[٧١] .

والحديثُ عن ثمرات الفهرسة وفوائدها في مجال البحث ، حديثٌ طويل ، وقد كتب الناسُ وكتبتُ عنه كثيراً[٧٢] .

على أنه في مجال فهرسة الشّعر من تلك المجاميع الأدبية يمكن أن يُشارَ إلى بعض فوائدها على ماتَرى :

---

(٧٠) انظر : بيليوغرافيا العصر الجاهلي . للدكتور عفيف عبد الرحمن . مجلة المورد العراقية ـ المجلد التاسع ـ العدد الثالث ـ ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م . ثم انظر كتابي : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص ٢١٧ .

(٧١) نشرت تلك الأشعار في مجموعات ، حملت هذه العنوانات : شعراء إسلاميون ـ شعراء أمويون ـ شراء عباسيون . والمجموعتان الأوليان لصديقنا الدكتور نوري القيسي ، والثالثة للدكتور يونس السامرائي . ثم كانت جهود كثيرة لأساتذتنا وأحبابنا العراقيين : هلال ناجي ، وإبراهيم السامرائي ، وأحمد مطلوب ، وداود سلوّم وحاتم الضامن ، وعبد الله الجبوري ، ويحيى الجبوري ، ورشيد العبيدي ، ومحسن غياض ، وخليل وجليل العطية ، ومحمد جبار المعيبد ، وعبد العظيم عبد المحسن ، وشاكر العاشور .

(٧٢) راجع العدد الرابع من مجلة البحث العلمي بجامعة أم القرى (١٤٠١ هـ) : فهارس الشعر واللغة لكتاب غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام . من جمعي وتصنيفي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ ـ جَمْع شِعر الشعراء المقلّين الذين ليست لهم دواوينُ مخطوطة .

٢ ـ نسبةُ الشّعر المجهول النِّسبة .

٣ ـ توثيق نسبة الشعر .

وهذان يعرفهما المحقّقون وناشرو التراث . فكم يُعاني أحدُهم ، وكم يَلْقَى نَصَباً في نسبة شاهدٍ أو توثيقه . ولا يعرف الشوقَ إلاّ من يُكابِدُه .

٤ ـ معرفة البُعْد الزّمنيّ لبعض الشواهد المُرْسَلَة ، وتقريب تاريخها . وهي تلك الشواهد التي يُتَمثَّل بها ولا يُعرفُ لها قائل . فبعضُ هذه الشواهدِ التي تجري على ألسنةِ الناس في معرِض الاستشهاد والتمثُّل ، يُظنُّ أنها قريبةُ العهد بنا ، ثم عند الفهرسة تراها في مجموع من مجاميع الأدب في القرن الثالث أو الرابع .

٥ ـ معرفة هيئات الرويّ ، وحظوظ بعض القوافي في كثرة دَوَرانها أو قلّتها على ألسنة الشعراء[٧٣] .

٦ ـ تأثر الشعراء بعضهم ببعض في القوافي وهيئات الرويّ .

٧ ـ إذا أُضيف البحر بإزاء القافية ـ وهذا ضروريّ ـ أمكن الحصرُ والاستقصاء ، لمعرفة أكثر البحور دوراناً وأقلها استعمالاً ، كما رأيتَ فيما ذكرتُه لك مِن عدد وُرُود البحور في هذا الكتاب .

٨ ـ القوافي الهادية . وهذا أمرٌ في غاية الخطورة والأهميّة ، فقد يأتيك بيتٌ مجهولُ النسبة ، وهو من قافية الباء المضمومة ومن البسيط ، فتنظر في فهرس الشعر مِن كتابٍ مّا ، فلا تجد بيتك الذي تُريد ، ولكنك تجد بيتاً أو أبياتاً من القافية نفسها والبحر لذي الرمّة ، فتَحْدِسُ أن بيتك من هذه القصيدة فتعود إلى ديوان ذي الرمّة ، فإذا هو هناك . وقد جرَّبْتُ هذه القوافيَ الهاديةَ كثيراً ، فإذا هي دواءٌ نافعٌ ناجِع .

(٧٣) ككثرة قافية الباء والراء واللام والميم ، وقلّة قافية الزاي والظاء .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

إلى فوائدَ أُخرى تُدْرَك بالحاجة والممارسة والتتبُّع .

ثم إنه لو لم يكن في هذه المجاميع الأدبية إلاّ اختلافُ الروايات عمّا هو ثابتٌ في دواوين الشعراء ، لكان في ذلك مايُغْرِي بمعرفتها وفهرستها والإفادة منها . وقد رأيتُ في أثناء فهرستي لشواهد هذا الكتاب فُروقاً كثيرة بين إنشاد أبي هلال وماهو في دواوين الشعراء ، وهي فروقٌ لفظية ، ولكن لها أثرٌ في التركيب وأجزاء الصورة الشعرية .

وقد ضمّ هذا الكتاب (ديوان المعاني) قَدْراً ضَخْماً من الشّعر ـ كما أخبرتُك ـ لشعراء مشاهير ، إلى شعراء مقلّين وأغْفال ، ومن بيتٍ واحد إلى اثنين وثلاثة ومقطوعة . ومن الشعر الجاهليّ ـ على قِلّة ـ إلى الشعر الإسلامي ، وشعر الدّولتين .

ويُعَدُّ ماأنشده أبو هلال لبعض الشعراء إضافةً جيّدة إلى أشعارهم المطبوعة ، فمن هؤلاء الشعراء الذين أنشد لهم أبو هلال ، ولم أجده فيما طُبع من دواوينهم : حاتم الطائي ، والأعشى الكبير ـ ميمون بن قيس ـ ومزاحم بن الحارث العُقَيْليّ ، وأبو زُبيد الطائيّ ، ومجنون بني عامر ـ قيس بن الملوح ـ وابن المعتز[٧٤] ، وابن الرومي ، وأبو هلال العسكري نفسه[٧٥] .

ومن الإضافات الجيّدة في هذا الكتاب : أن أبا هلال أنشد لأبي

---

(٧٤) كثيرٌ من شعره الذي أنشده أبو هلال لم أجدْه في ديوانه المطبوع ، صنعة أبي بكر الصُّولي ، الذي نشره الدكتور يونس أحمد السّامرائيّ ببغداد . غير أنه لم يَتَحْ لي أن أراجع على ديوانه الذي نشرته دار المعارف بمصر ، بتحقيق الدكتور محمد بديع شريف ، رحمه الله ، إلاّ في مواضع قليلة جداً . أما طبعاتُه السابقةُ على هذين فلا خيرَ فيها .

(٧٥) انظر تعليقي على قافية التاء المفتوحة من البحر الوافر (مَوْتا) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جندب الهذليّ رجزاً ، لم أجده في شعره ضمن أشعار الهذليين ، ثم وجدته في شعر أبي ذؤيب والرجزُ هناك سبعة أشطار ليس غيرُ ، على حين أنشد أبو هلال منه عشرة أشطر(٧٦) .

ومّما يتصل بالإضافات إلى شعر الشعراء نَفْيُ نسبةِ الشعر إليهم . ومن ذلك ماذكره أبو هلال بإسناده إلى عبد الرحمن بن حسّان ، يُخبر عن أبيه حسّان بن ثابت ، رضي الله عنهما ، قال : « خرجتُ حاجّاً في الجاهلية فإذا أنا بشابٍّ حسنِ العينين وَضِيء ، وبشيخٍ يُسابُّه ... » إلى آخر الخبر . وفي سياق هذا الخبر يقول حسّان رضي الله عنه : ثم مررتُ مِن فوري حتى آتيَ مِنَى ، فإذا رجلٌ على جملٍ عظيم لا يمرُّ بقومٍ إلا هَجاهم .... فنظر إلى قِبابٍ بيضٍ في شرقيّ الجبل ، فقال : لِمَن هذه ؟ فقيل : لقِرْد بن تميم ، من هُذَيل ، فأمّها وقال :

هل هاهُنا مِن وُلْدِ قِرْدٍ من أَحَدْ يردُّ عنهم رجَزَ اليومِ وغَدْ

فخرج أبو جُنْدب وهو يقول :

نَعَمْ غلامٌ منهمُ جَلْدٌ عَتُدْ

إلى آخر الرجز(٧٧) .

وواضح من سياقة الخبر عند أبي هلال أنّ قائلَ الرجز : هل ها هنا ... هو ذلك الرجل الذي رآه حسّان بمِنى ، على جملٍ عظيم . لكنّ الرّجزَ نُسِب إلى حسّان في أشعار الهذليين ، على هذا النحو : « عن أبي عبد الله ، قال : خرج حسانُ بن ثابت مِن أهله يرتجزُ بأحياء العرب ، فمرّ بهُذَيل ، فرجَزَ بهم فقال :

---

(٧٦) انظر تعليقي على قافية « لم نَزِدْ » في الرجز الساكن مِن حرف الدال .

(٧٧) أشرْتُ إلى شيءٍ منه في تعليقاتي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هـل هـا هنـا مِن وُلْـدِ قِرْدٍ مِن أحَـدْ

. . . . . »[٧٨]

وقد أثبت الدكتور وليد عرفات هذا الرجزَ في زيادات ديوان حسان (ص ٤٥٤) نقلاً عن هذا الموضع من أشعار الهذليّين فقط . ولو رأى الدكتور وليد ، والأستاذ عبد الستار فراج رحمه الله ، محقّقُ شعر الهذليين ، هذا الخبرَ عند أبي هلال ، لكان لهما تعقيبٌ وتعليق .

ومِن عَجَبٍ أن عدداً من محقّقي النصوص وناشِري الدّواوين وجامعي الشّعر لم يلتفتوا إلى كتاب أبي هلالٍ هذا (ديوان المعاني) ، ولم يستفيدوا منه في نسبة الأشعار ، أو نَفْي نِسبتها ، أو توثيقها ، أو اختلافِ الرواية فيها . ولعلّ الذي صَدّهم عنه ضخامةُ صفحاته التي بلغت أكثر من ستمائة صفحة ، مع خلوّ طبعته الوحيدة من فهارس ، تُيسّر سبيل الانتفاع به والإفادة منه .

وهذا هو الذي حرّكني لفهرسة الشّعر من هذا السِّفر العظيم ، وكان توفيقُ الله لي عظيماً ، إذ أمدّني بعَونٍ منه ـ على ضَعْف قوّتي وقِلّة حيلتي ـ فحَرصْتُ على ذكر البحور مع القوافي . وكانت سياحةً مباركة ممتعةً في أسفار الشعر وكتبِ الأدب .

وقد رجعتُ إلى المُتاح لي من دواوين الشعراء الذين أنشد لهم أبو هلال ، لتصحيح ما اضطرب من الشعر ، ولتحرير هيئة الرويّ ؛ من إطلاقٍ أو تقييد ، ثم لمعرفة أنصاف الأبيات التي أنشدها أبو هلال ، أصدورٌ هي أم أعجاز .

---

(٧٨) شرح أشعار الهذليين ص ٢٣٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم إنّي نسبْتُ بعض مالم ينسُبْه أبو هلال[٧٩] ، وصحّحْتُ نسبةَ بعضِ ماسها عنه ، وذكرتُ الخلافَ في نسبة بعض الأبيات . وأدّت هذه الجولةُ أيضاً إلى تصحيح بعض ما في الدواوين . وترى هذا كلّه في حواشي الفهارس ، على القَدْر الذي يُطيقه التعليقُ في ذلك الحيّز الضّيّق .

وأسأل الله أن أكون قد أصبْتُ فيما اجتهدتُ فيه ، فبُحور الشعر عميقة ، وأبواب العلم واسعة ، والسّعيدُ من وفّقه الله ، وصدَق مَن قال :

فلستَ تأتي إلى بابٍ لتعلَمَه إلاّ انصرفْتَ بعَجْزٍ عن تقصّيهِ

وقد جريتُ في الفهرسة على هذا السّنَن :

فهرسْتُ قافيةَ البيت الواحد والاثنين والثلاثة . وإذا زاد الشعر عن ثلاثة أبيات فهرسْتُ قافيةَ البيت الأول فقط ، وذكرتُ بإزاء القافية عددَ أبيات المقطوعة .

وقد خرجتُ عن هذا المنهج مرّة واحدة : إذا كان في أثناء المقطوعة بيتٌ من الشواهد السّيّارة ، مما يطلبُه الناسُ ويريدون موضعَه ، فإني أذكر قافيةَ هذا البيت السّيّار بعد ذِكر القافية الأولى من المقطوعة .

وبعد : فإني في ختام هذه الكلمات الموجزة أتوجّه إلى العليّ القدير ، أن يتغمّد بالرحمة والرضوان ناشرَ هذا الكتاب الأستاذ حسامَ الدين القُدسيّ الدمشقيّ نزيلَ القاهرة ، وهو رجلٌ من أصحاب الهمم العالية ، جاهَد في نشر التراث جهادَ الأبطال ، ناسخاً ، وجامعاً للحروف ، ومُصحّحاً ، وقد وقف وحدَه في الساحة ، ليس معه إلاّ عونُ الله

(٧٩) بعض أئمّتنا ، راضونَ الله عليهم ، كانوا يتركون نسبةَ بعضِ الشواهد استهالاً وطلَباً للخفّة . فلا ينبغي أن تقول : إننا نَسَبْنا مالم يعرفوا نِسْبَته ، وهو طريقٌ مَزَلّةٍ يسلكه كثيرٌ من محقّقي هذا الزمان . وقد حرّرْتُ ذلك في تقدمتي لكتاب الشعر (ص ١٨ ، ١٩) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتوفيقُه . ومِن دُكّان صغيرٍ له خلْفَ محكمة الاستئناف بحيّ باب الخلق بالقاهرة ، خرجَتْ نفائسَ وروائعَ من التراث ، معظمها من الموسوعات .

وأبلغُ ماقيل في وصفه ، ماذكره شيخنا أبو فهر محمود محمد شاكر . قال حفظه الله : « كان في الناس رجلٌ فاضل ، نشأ صغيراً بأرض الشام ، وشَدا من العلم ماشدا ، وكان مجتهداً صبوراً ، ثم كتب الله له أن يشتغل بطلب الرزق ، فطلبه في تجارة الكتب ، فظلّ يطبع إلى آخر حياته كتباً لم تُنشَر من قبل ، وهي من ذخائر الكتب العربية ، استفاد منها كلُّ طالب علم في أرض اللسان العربيّ ، أو في غير أرضه ، وأسدَى إلى كلّ عالمٍ معروفاً لايُنسَى »[٨٠] .

وقد نشر الأستاذ حسام الدين ، رحمه الله ، هذا الكتاب بالقاهرة عام ١٣٥٢ هـ في مجلدين ، عن مخطوطي الإمامين الشيخ محمد عبده ، والشيخ محمد محمود الشنقيطي . وبعض المراجعات على نسخة المتحف البريطاني . وعن هذه الطبعة أصدرت دار عالم الكتب ببيروت طبعة مصورة ـ منذ أربع سنوات ـ خالية من التاريخ .

ولعلّ الأيام تجود بنسخةٍ مخطوطةٍ صحيحة من هذا الكتاب العظيم ، فإن في المطبوع مواضعَ خطأ ، لايُصلحها إلاّ ظهورُ نسخة جيّدة منه .

هذا وأستغفر الله من كلّ عَثْرة وزلّة ، وأبرأ إليه من كلّ حولٍ

---

(٨٠) برنامج طبقات فحول الشعراء ص ١١٨ . ثم انظر كلمتي عنه في : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص ٦٥ ـ ٦٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقوّة . سبحانه ، لارجاءَ إلاّ إليه ، ولا اتّكالَ إلاّ عليه ، ولاطمعَ إلاّ فيما عنده .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net